مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

البناء المعرفي للإنسان في ضوء الهدايات القرآنية
(الأسس، الخصائص، الغايات)

اسم الباحث/ـة

د/ صرموم رابح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إن صناعة المعرفة هي الركيزة الأساسية لبناء الحضارات، ولذلك يعتبر التحكم في المعرفة أهم مظاهر القوة في عالمنا اليوم، لما لها من دور فعال في إعداد رأس المال البشري، وحسن الاستفادة منه في التنمية المستدامة.

ولما كان الإنسان منطلق التنمية و أداتها، كما هو هدفها النهائي وغايتها، عنيت الديانات و الفلسفات جميعها بمسألة البناء المعرفي للإنسان، و قد كان لهذه القضية العناية الكبرى في قرآننا الكريم، حيث كانت أول آية نزل بها الوحي خطابا للإنسان بطلب المعرفة و تحصيلها ثم تتابعت الآيات نزولا في بيان مصادر هذه المعرفة ووسائلها ومقاصدها و غاياتها.

القضية المحورية للبحث:

تتمحور هذه الدراسة حول تلمس المنهج الصحيح لبناء المعرفة في الإنسان وفق الرؤية القرآنية من خلال بيان أسسها و خصائصها و مقاصدها و غاياتها ، ذلك أن المعرفة تتعدد مصادرها و تختلف طبيعتها و أدواتها ، ومن هنا كان التحكم في تشكيلها و توجيهها في غاية الصعوبة، حيث صارت المعرفة صناعة توجهها المذاهب و المدارس الفكرية و الفلسفية، ولذلك شهد التاريخ الإنساني العديد من الانحرافات في منهجية بناء المعرفة، ومن ثم كانت الحاجة ماسة للكشف عن المنهج الصحيح لبناء المعرفة وفق الهداية القرآنية، انطلاقاً من قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ **[الإسراء:٠٩]**،

حيث يفترض الباحث وفق تفسير هذه الآية أن القرآن المجيد هو الكتاب السماوي الهادي الذي يقدم لنا النموذج الأقوم لبناء المعرفة، فيعيد صياغة العلوم في بعدها الكوني الذي يتضمن غاية الحق من الخلق، ويحررها من التأويلات الوضعية و المادية التي أصابتها بالقصور ، و يستوعب الحضارة العالمية ، ويخرجها من أزماتها ، و يعدل مسيرتها.

أهمية البحث:

- تكتسب هده الدراسة أهميتها من أهمية الموضوع، حيث يعد موضوع البناء المعرفي للإنسان من الدراسات الفلسفية التي شغلت المفكرين قديماً و حديثاً.
- إن أزمة العالم اليوم هي أزمة المعرفة التي أفضت إلى أزمة في الوجود، ثم أزمة في القيم، تحولت إلى أزمة في الواقع الإنساني على عدة مستويات، صارت تهدد الوجود الإنساني و الكوني على حد سواء ، و من ثم كان الفكر الإنساني في حاجة إلى إعادة النظر في بنيته المعرفية ، و يعتبر النموذج القرآني البديل الذي يمكن تقديمه للبشرية لأنه يتوافر على عناصر يفتقدها النظام المعرفي الغربي –منطلقاً و منهجاً ومساراً و هدفاً– ، من أجل بناء حضارة إنسانية كونية أخلاقية .

أهداف البحث:

١-بيان أهمية المعرفة ودورها في بناء شخصية الإنسان.

٢-الكشف عن منهجية القرآن في بناء المعرفة الإنسانية وفق قواعد صحيحة ومنظومة شمولية متكاملة، و إبراز دور القرآن الكريم في تفجير المعرفة الإنسانية المنقذة للبشرية و المعمرة للوجود.

٣-بيان أسس وخصائص النظام المعرفي الإسلامي التي تؤهله لتشكيل النموذج المعرفي الصحيح القادر على إنقاذ البشرية من أزماتها المختلفة.

٤-محاولة فهم حقيقة النظام المعرفي في الفكر الإسلامي من خلال القرآن الكريم، من خلال تحليل بنية هذا النظام ومكوناته وعناصره، وأسسه، وخصائصه، وعلاقته بمنظومة الاعتقاد ومنظومة القيم.

منهج الدراسة:

هو المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن، وذلك من خلال استقراء الرؤية القرآنية لبناء المعرفة وتحليلها، ثم مقارنتها بالنظم المعرفية الأخرى.

خطة البحث:

تم تقسيم هذا البحث على النحو التالي:

مقدمة: فيها بيان موضوع البحث، و أهميته ، و أهدافه ، و المنهج العلمي المتبع في كتابته.

المبحث الأول: الأسس العقدية للنظام المعرفي القرآني، وتحته مطلبان.

المبحث الثاني: أركان المعرفة ومصادرها في النظام المعرفي القرآني، وجاء في مطلبين.

المبحث الثالث: غايات المعرفة وأهدافها في النظام المعرفي القرآني، وتحته ثلاثة مطالب.

المبحث الرابع: خصائص النظام المعرفي القرآني، وجاء في ثلاثة مطالب.

خاتمة: وتضمنت نتائج البحث.

المبحث الأول: الأسس العقدية للنظام المعرفي القرآني.

إن شرعية النظام المعرفي تقوم على مدى ارتباطه بعقيد الأمة، وثقافتها وقيمها، فهناك تلازم وثيق بين التصور الاعتقادي و المعرفة و النظام و السلوك الاجتماعي، ومن ثم كانت عناية الإسلام الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة ، وعني الأنبياء جميعاً من لدن نوح إلى محمد-صلى الله عليه وسلم- ببيانها ، حتى تستقر عليها المعرفة ، وتبنى عليها النظم الحضارية.

يقول الفاضل بن عاشور:(إن موقع العقيدة الدينية من مقومات الكيان الاجتماعي للأمة الإسلامية، -باعتبارها مجتمعا دينيا بالمعنى الأخص- هو موقع رئيس جوهري كان فيه الدين العامل المباشر لصنع المجتمع، وكان هو الحافز لنهضته الفكرية، والممهد له طريق الاتصال بما أنتجت من الأفكار والصنائع، فبالدين فكر، وبالدين تحضر، وبالدين أنتج آثار حضارته، وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته).[1]

إن وضع هذا الأساس العقدي الصحيح والبنية التحتية للبناء المعرفي وتشييد المعارف عليه بشكل متين وراسخ، هو الذي يهيئ الطريق لتشييد بناء نظام اجتماعي واقتصادي وتربوي و سياسي متماسك، يضمن للإنسان و المجتمع حياة راقية ملؤها السعادة و التقرب إلى الله، فيحقق بذلك أسمى أهداف و غايات الإنسان[2]. وإن استقراء التاريخ البشري يثبت لنا أن انفصال المعرفة عن العقيدة و انفصال العلم عن الإيمان، قد جر على الإنسان الويلات و الهلاك و خسائر يصعب تعويضها،[3] ولذلك كانت الحاجة ماسة في معرفة الأسس العقدية التي انطلق منها المنهج القرآني في بناء المعرفة ،

---

(١) روح الحضالإسلامية،ية ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض، ١٩٩٢، ص ٧٤-٧٥

(٢) نظرية المعرفة في الإسلام ، جعفر عباس ، مكتبة الألفين ، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٤٩.

والتي تتمثل فيما يلي:

المطلب الأول: الرؤية الكونية والوجودية:

إن نظرية المعرفة انعكاس لنظرية الحياة، أي نظرة الإنسان إلى الخلق والكون و الحياة، فيستحيل أن يوجد نظام وترتيب بدون رؤية سابقة وهدف مستقبلي، كما أنه يمتنع أن يتكون فهم بشري بغير فروض و تحيزات مسبقة ورؤية قبلية ، و المنهج المعرفي متوقف على اكتمال رؤيته في حقيقة الوجود ، فالوجود مرتبط بالمعرفة و سابق عليها ، و المعرفة تابعة للوجود و نابعة منه ،

والرؤية التي تحكم الوجود هي الرؤية التي تحكم المعرفة، وباختلاف الرؤى في الوجود اختلفت المناهج المعرفية(١).

إن الخيط الأول –سواء في المعرفة الإسلامية أو غيرها –الذي ينسج مختلف الأفكار و المفاهيم في حياة الإنسان هو تحديد إطار و محتوى نظرة الإنسان إلى الإله و الكون و الحياة ، و العلائق المتداخلة بينها، فهي تشكل خطاً ومنهاجاً وأطروحة كاملة شاملة للحياة الإنسانية ،وإن المعرفة لا تتم على وجهها الصحيح ، ولا تنتج ثمارها المرجوة ، إلا إذا نهضت على شرط أساسي مهم ، وهو أن الوجود وحدة مترابطة ، فلا يستقيم معرفة أي جزء منه إلا ضمن قاعدة واسعة من البصيرة العلمية بالدائرة الكونية ، فإن فقد هدا الشرط جاءت المعرفة مقطعة مهتزة مضطربة ، ولن تكون عندئذ مرآة صافية صادقة للحقيقة.(٢)

إن الرؤية الوجودية و الكونية تعرفنا عن مبدأ الإنسانية و مصيرها ، ومعربالكون، حيثو الغاية المتوخاة من الخلق، وكيفية الاتصال بالخالق، فهي

---

(١) منهج ابن تيمية في المعرفة ، عبد الله بن نافع الدعجاني ، مركز تكوين للدراسات و الأبحاث، السعودية ، ط١، ٢٠١٤، ص٥٤.

(٢) منهج القرآن في البناء المعرفي، مصطفى الحوامدة ، ص١١٥٥.

تمثل إجابة عن الأسئلة الكلية و النهائية التي يطرحها وجود الإنسان وحياته وعلاقته بالكون، حيث أبرز القرآن الكريم هوية الكون و الإنسان و الحياة ، بطريقة منظومية على أساس أنها تقوم جميعا على مبدأ الخلق ، فهي مخلوقة لخالق قادر يتصف بكل صفات الكمال ، و على أنها مسخرة للإنسان المكرم المستخلف في الأرض ، وعليه أن يصدع بمهمته الاستخلافية بتعمير الأرض و إصلاحها و إقامة دين الله فيها لتحقيق مجتمع إنساني مثالي راق.(١)

إن هذه التصورات الفكرية العقدية تشكل قاعدة أساسية في المعرفة تدور حولها كل القضايا و المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فهي تحدد الأطر و المستويات الأساسية للمشكلات الرئيسة في الحياة ، و الحلول المناسبة لها.

وإننا حين نستقرئ الآيات القرآنية، ونغوص في أعماق معانيها يظهر لنا بوضوح الارتباط الوثيق بين الرؤية الكونية الواضحة والمعرفة الصحيحة ، فيصف الله أولئك الفاقدين للرؤية الكونية و يشبههم بالأنعام و الدواب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف ١٧٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان ٤٤]،

فإذا غابت الرؤية الواضحة الصحيحة كان وجود آلات النظر و عدمه سواء حيث لا يستفيد الإنسان من هذه النعم و لا يستخدمها في الأغراض والغايات التي وجد من أجلها ، فهؤلاء مثل الأنعام بل هم أكثر و أشد ضلالا منها ، لأنهم غافلون عن الحق والحقيقة.وإن اختلاف وتباين الأسس و الركائز (النظرة الكونية) هو الذي يؤدي إلى الاختلاف في الإيديولوجيات،

(١) المصدر نفسه، ص١١٥٢.

والأطروحات الإنسانية، كما يؤدي إلى الاختلاف والتباين في السلوكيات والأفعال من حيث الشكل والإطار

والمحتوى والمضمون في حياة الإنسان والمجتمع، فقيمة السلوكيات مرهونة بالقاعدة الفكرية و المعرفية التي ترتبط بدورها بالنظرة الكونية الشاملة.

وبهذا يختلف البناء المعرفي للإنسان في القرآن عن بنائه في المناهج الوضعية، فالإنسان في مدرسة الأنبياء و الرسل و مدرسة التشريع الإلهي و الكتب السماوية يختلف عن ذلك الإنسان المادي في رؤيته للحياة والكون، فالإنسان المادي يرتكز على مقاييس و موازين مادية بحتة لا تتجاوز حدود المادة و الحس و التجربة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[الجاثية ٢٤]، بينما يحمل الإنسان القرآني حقائق جوهرية تتجاوز حدود المسائل و القضايا المادية(١).

إن الإنسان في مدرسة الأنبياء والمرسلين التي يكون القرآن قاعدتها المعرفية في الكليات والجزئيات والشكل والإطار والمحتوى والمضمون، والأساليب

والأدوات، والغايات والأهداف، يختلف تماماً شكلاً ومضموناً عن الإنسان الذي تربى تربية مادية محضة في مدرسة المفكرين الماديين بشتى أشكالها

وألوانها، فالفروقات جوهرية فالإنسان الذي تربى تربية قرآنية إلهية يمتلك مقدمات معرفية روحية تعتبر ركيزة وقاعدة ينطلق منها لبناء صرح شامخ منسجم بين أجزائه وفروعه وروافده المعرفية المتعددة وملتئم مع الأهداف و الغايات التي خلق لأجلها الإنسان.(٢)

إن هذه المرجعية الكونية لم يكن لها–للأسف–أن تستمر على هيئتها في الأمة الإسلامية ، حيث اختلت فيها الرؤية الكونية الكلية ، واهتزت منها

(١) نظرية المعرفة في الإسلام ، جعفر عباس ، مصدر سابق ، ص٣٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٥١.

القواعد التأسيسية ، فظهرت مرجعيات أخرى –وضعية المنشأ ، دهرية التوجه– وجدت سبيلها إلى ثقافة الأمة وفكرها و احتلت من حياتها مواقع التأثير و التوجيه ، فعرفت الأمة حالة من الازدواجية و الانفصام بين الشعور و الانتماء وجدانا و تاريخا إلى الهوية الإسلامية ، و الخضوع واقعا لأنماط من النظم مجافية لقيم الإسلام ، غير محققة لمقاصده ، ولا مستجيبة لتوجهاته، وذلك وجب إعادة تأسيس نظام معرفي ينطلق من الجذر التأسيسي للأمة في ثقافتها [1]، وفق رؤية كونية عقدية تكون هي القاعدة التي يتأسس عليها و ينطلق منها.

المطلب الثاني: الرؤية التوحيدية:

تتميز الرؤية و الوجودية الإسلامية عن بقية الرؤى الكونية أنها (رؤية توحيدية) في جميع موضوعاتها و معالمها و ماهيتها، مبنية على أساس أن لهذا الكون خالق واحد مبدع حكيم عليم ، هو مبدئ الخلق جميعا و مصدر الوجود لجميع المخلوقات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ ﴾ [الإخلاص: ٢].

إن هذه الرؤية التوحيدية تشكل نسقاً متكاملاً من المفاهيم و الأفكار تعبر عن منهج يؤطر حياة الإنسان ويوجهها معرفياً واجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً؛ لأن التلازم بين الرؤية الوجودية و الرؤية المعرفية يقود إلى أصل المعارف ، وهو الله تعالى ، ولهذا كان التوحيد أساس المعرفة في المنهج القرآني ينتظم في إطاره التعامل مع مصادر المعرفة و بواعثها وغاياتها ، وتنتظم فيه كل معارف الإنسان وسلوكياته وثقافته وحضارته، فالتوحيد هو محور العملية المعرفية والحضارية للإنسان في ضوئه تبنى كل العلوم و الفنون ، والإنجازات والممارسات، فهو المنطلق و المعلم الذي يرسم حدود الفكر ، والمرشد و الموجه والضابط لكل

---

(1) حول النظام المعرفي في القرآن، محمود عابد الرشدان ، مجلة إسلامية المعرفة ، الأردن ، المجلد: ٠٣ ، العدد ١٠،سبتمبر١٩٩٧، ص٠٧.

حركات السلوك الإنساني ، فلا يمكننا أن نفهم الأشياء على حقيقتها دون الرجوع إلى هدا الجوهر، فهو الضابط المنهجي، و الناظم المعرفي ، و الأساس القيمي الذي يحمي من العبثية و العدمية و الضياع و التيه،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبّٗا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيّٗا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ ﴾ [الملك: ٢٢]

وبناء على هذه –الرؤية التوحيدية– فإن سير المعرفة البشرية في منهج المعرفة القرآني نازل لا صاعد، بمعنى أن التأسيس الأول للمعرفة لابد أن يبدأ منه – جل وعلا–(المعرفة العليا) ، فالعلم الإلهي الذي يتعلق بضرورة وجود الله وربوبيته وألوهيته ، تستمد منه المعرفة البشرية ضرورتها و تنفتح به على حقائق الوجود و المعرفة ، وهذا بخلاف من يجعل النفس البشرية مستنداً أولياً للمعرفة البشرية ومنها تصعد إلى معرفة حقائق الوجود.

ويتأسس على هذا أيضاً أن حصول المعارف عند الإنسان، راجع إلى فضل الله و قدرته بعد بذل الإنسان للأسباب المتنوعة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾[العلق: ٥/١]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾ [الرحمن: ٤]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾ [البقرة: ١٥١]

ويترتب على القول بأن المعرفة نازلة افتقار العلوم العقلية و المعارف الطبيعية إلى معارف الوحي والعلوم الإلهية ، فالعقل وإن كان شرطاً للمعرفة فإنه مفتقر إلى الوحي الإلهي، و لا يصح استقلاله بالمعرفة عن الوحي، فالتوحيد يحمي العقل البشري من الأوهام و الضلالات و الشكوك؛ لأن النموذج المعرفي القائم على التوحيد يقوم على الإيمان بفكرة اليقين الموحى به من الله ، في مقابل النزعة الشكية التي يتسم بها النموذج المعرفي الغربي ، الذي اعتبر العقل معياراً

للحقيقة، حيث بقي العقل البشري يلهث وراءها ولم يصل إليها في حالة من التمزق و التيه و التخبط ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَٱلَّذِى ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ﴾[الأنعام- ٧١].

ويترتب على ذلك أيضاً أن المرجعية النهائية للمعرفة مرجعية متجاوزة للطبيعة والإنسان وليست كامنة فيها؛ لأن المرجعية النهائية للمعرفة إلى الله، وبه يفسر الوجود والمعرفة، وبذلك يظهر التمايز بين المنظومة المعرفية الإسلامية

والمنظومة المعرفية الغربية الحديثة التي تجعل الكون والإنسان المركز في تفسير الوجود والمعرفة **حيث اختلفوا على اتجاهين:**

أ-الاتجاه الإنساني: الذي جعل الإنسان مرجعاً نهائياً لتفسير الكون وجوداً ومعرفة، وصير العقل قادراً على تقديم تفسير كلي وشامل لهذا العالم.

ب-الاتجاه المادي: الذي جعل المادة والطبيعة مرجعا نهائيا لتفسير الكون وجودا ومعرفة، وهذه النزعة هي المسيطرة على الفكر الغربي منذ القرن التاسع عشر إلى اليوم.

فالقول بنزول المعرفة فارق منهجي بين نظرية القرآن في المعرفة، وبين المناهج الفلسفية الغربية التي ترى بأن المعرفة صاعدة لا نازلة وتجعل من النفس البشرية مركزاً للمعرفة ومبدءاً لها.(١)

إن قيام النظام المعرفي على أساس التوحيد هو الذي يوحد عناصر المعرفة و يجمع شتاتها، ويحولها إلى بنية منتظمة في الرؤية الكونية، وفق تراتبية هرمية تحدد موقع وموضع كل مكون من مكونات النظام المعرفي في إطار من الاتساق والانتظام، ولذلك فإننا اليوم بحاجة إلى قيام المعرفة الإسلامية المعاصرة على

(١) نظرية المعرفة عند ابن تيمية ، الدعجاني ، مصدر سابق، ص٦٩-٨٣.

مبادئ العقيدة والتوحيد ، ليستعيد النسق المعرفي الإسلامي هويته و تميزه ، وتوازنه و انسجامه وغائيته، ويتحول من مبدأ نظري إلى ممارسة عملية توحد الأمة سياسياً و اقتصادياً و حضارياً.

المبحث الثاني: أركان المعرفة ومصادرها في النظام المعرفي القرآني.

المطلب الأول: أركان المعرفة ومجالاتها.

يقوم النظام المعرفي القرآني على أربعة أركان أساسية هي :-معرفة الله-معرفة حقيقة الإنسان-معرفة حقيقة الكون-معرفة حقيقة الحياة، ، حيث يعرض القرآن هذه الحقائق في صورة منتظمة و منطقية ومتكاملة كما تحددها الرؤية الكونية العقدية الإسلامية ، ويحرص المنهج القرآني في طريقة عرضه لها ، على إعطاء كل جانب منها مساحته التي تساوي وزنه الحقيقي، وهدا ما تميز به عن بقية المناهج البشرية في تناولها لهذه الحقائق ، فقد تميزت بالقصور و ربما كانت بعيدة عن الحقيقة كما في صورتها القرآنية ،

وفيما يلي بيان لهذه الحقائق كما جاء عرضها في القرآن:

أولاً: معرفة الله:

تتباين وتتفاوت المعارف البشرية في مراتبها وفضلها بحسب موضوعاتها، والقرآن في نظرية المعرفة يجعل معرفة الله أعلى مراتب المعرفة ، و أسمى موضوعاتها ، وركنها الأساس، وأكثرها ضرورة وحاجة ،فإنها أفضل علم بأفضل معلوم ،

وأصل كل العلوم والمعارف، والمراد بمعرفة الله: المعرفة اليقينية الجازمة بذات الله وصفاته ، ومعرفة دينه و شرعه وأمره ونهيه.

وقد عني القرآن عناية واضحة بتجلية هده الحقيقة وتقريرها وتعميقها و تثبيتها في النفس الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد:١٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾[إبراهيم:٥٢]، فمن خلال تعريف الناس بهده الحقيقة يجئ تعريفهم بسائر الحقائق الأخرى التي تنشئ التصور الكامل، فترتبط كل الحقائق مبتدئة

ومنتهية بحقيقة الألوهية، ومن ثم نجد أن معظم النصوص القرآنية الواردة في تعريف الناس بربهم، تتضمن الكثير عن حقائق الكون والحياة والإنسان ، وسائر العوالم المغيبة والمشهودة، كما أن النصوص الواردة في التعريف بهده الحقائق تربطها بحقيقة الألوهية.

ثانياً: معرفة الإنسان لحقيقة ذاته:

إن معرفة الأساس الأول وهو معرفة الله يقودنا إلى معرفة الحقيقة الكبرى الثانية، وهي معرفة حقيقة الإنسان ومبدؤه ومعاده و ارتباطه بالموجودات الأخرى وارتباطه بالخالق[1]، ذلك أن الإنسان أهم عنصر من العنصر الثلاثة التي تنبثق الحضارة الإنسانية من تفاعلها وهي: الإنسان، الكون، الحياة، فهو العنصر الفعال والمؤثر، وهو محور العمارة الكونية.

من أجل هذا يحتفي القرآن بالإنسان كثيراً، وركزت آياته على الدعوة إلى النظر في الحقيقة الإنسانية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الداريات:٢٠-٢١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٣٥].

---

[1] نظرية المعرفة في الإسلام، جعفر عباس، ص٦١.

وقد تعددت في القرآن جوانب المعرفة بالنفس الإنسانية من خلال بيان حقيقتين:

الأولى: أصله من تراب، وسلالته ما ماء مهين، و الشأن فيه أن يعود بعد أن طالت به الحياة إلى أرذل العمر، ومع دلك فإنه يخاصم و يعاند ، ويجادل و يكابر، ويطغى و يستكبر ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ ﴾ [الطارق:٥-٦]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ [السجدة:٧-٨]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨ ﴾ [النساء:٢٨]

الثانية:أنه المخلوق المكرم على سائر المخلوقات الأخرى ، شرفه بالعقل والتفكير، وكلفه بالخلافة في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء:٧٠]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠].

كما يعرفنا القرآن بالقيمة الوجودية للإنسان، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ [الداريات:٥٦]، ويعرفنا القرآن بأحوال الناس وتاريخهم و قصصهم وكيف كان عاقبة المجرمين ، و المكذبين، و الظالمين، فقد غطت قصص الأمم السابقة مساحات شاسعة من القرآن، كانت دعوة إلى النظر و التدبر بغية الوصول إلى معرفة سنن الله وقوانينه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف:١١١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩ ﴾ [النمل:٦٩].

ويعرفنا القرآن بمراتب الناس، ودرجاتهم في الكمال ليكونوا المثل الذين يقتدي به الناس في حياتهم، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأنبياء و الرسل الكرام ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

إن المعرفة بحقيقة النفس الإنسانية ضرورية ولذلك شغلت هذه الحقيقة وغطت مساحات واسعة في القرآن الكريم، وما فسدت الأرض يوماً، إلا يوم تاه بنو ءادم عن هوياتهم وحقيقتهم وخصائصهم، فجنحوا إلى التطرف،

وما أدركت البشرية هده الحقائق القرآنية المتعلقة بالنفس، إلا وصلح حالها، و تآلف أفرادها.

ثالثاً: معرفة حقيقة الحياة:

اقتضى المنهج القرآني في عرض الحقائق المعرفية وترتيبها، بعد أن عرف الإنسان على حقيقة ذاته أن يعرفه على حقيقة العمر الذي يعيش فيه (الحيز الزماني) ، من حيث المبدأ والمنتهى ، والأحداث التي تنتظره بعد هذه الحياة ، ومن حيث علاقة العمر بتلك الأحداث المقبلة عليه ، وما ذلك إلا لأن عمر الإنسان هو الأداة الأولى بعد جوهره الذاتي لتسخيرها في أداء وظيفته ، ولا يمكن للإنسان أن يستعمل هده الأداة إلا بعد معرفة حقيقتها.

لقد لفت القرآن إلى جانبين متباعدين في حقيقة الحياة:[1]

الأول: بين فيه أن الحياة حياتان، هي الحياة الدنيا ، والحياة الآخرة وربط بينهما حتى لا تكاد تذكر الأولى ، إلا وذكرت الآخرة ، أما الحياة الدنيا فهي حياة تتصف بالتفاهة والقصر والزوال، وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد:٢٠]، بينما الحياة الآخرة خالدة فيها نعيم مقيم للمتقين ، وعذاب لا ينتهي للكافرين، فهي الحياة الكاملة الحقيقية ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٤]،

---

[1] منهج القرآن الكريم في البناء المعرفي، مصطفى

وقَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[النساء:٧٧].

الثاني: لفت فيه القرآن إلى جانب آخر يكشف عن قداسة هداية الحياة وحرمتها ،فالبرغم من تفاهتها إلا أنها الساحة الزمنية الممتدة التي يتم فيها استعمار هذا الكون و إصلاحه ليدفع الإنسان إلى حراستها ، وحمايتها من المخاطر و الآفات ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]

رابعاً: معرفة حقيقة الكون:

لم تقتصر عناية القرآن ببيان حقيقة الحياة التي تمثل (الحيز الزماني) للحياة الإنسانية، فاهتم أيضا بحقيقة الكون التي تمثل (الحيز المكاني) الذي يعيش فيه الإنسان تحقيقا لتكامل الرؤية المعرفية وشموليتها.

فيتحدث القرآن عن الكون حديثاً سهباً من جوانب متعددة ، فيعرفنا بأنه صفحة نقشت عليها براهين وجود الله و دلائل وحدانيته، ولذلك لم يفرده القرآن بحديث مستقل ، فكل ما جاء عن هذه الحقيقة إنما جاء في سياق تقرير توحيد الألوهية، والآيات التي تناولت هذا الموضوع كثيرة جداً لا يحصر عددها، ولا يوصف بعدها ، وقد بلغ عمق التركيز وامتداده الأفقي والعمودي إلى حد لا مثيل له ، فوجدت أسماء لسور قرآنية هي موضوعات العلوم الطبيعية: الرعد، الزلزلة، الضحى، الليل، الشمس، القمر..... ووجدت آيات تناولت بشكل عميق وواسع طبيعة وماهية الكون ، وعناصره ومكوناته، وبدايته ونهايته وعلاقته بصانعه و خالقه[1].

[1] نظرية المعرفة في الإسلام، جعفر عباس، ص ١١٤.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة:١٦٤].

إن هذا الكون كما يقرر القرآن مخلوق حادث، ليس بالقديم الأزلي، و كما أنه حادث، فهو هالك فان، مخلوق لأجل مسمى، وقبل هلاكه تقع فيه تحولات كثيرة في نظامه، وهيئته وشكله، ومادته وصورته، وهذا دليل أن نظام هذا الكون لا يسير وفق حتميات آلية ، و إنما يمضي وفق سنن تجري بمشيئة الله تتغير و تتبدل متى شاء و أراد.

كما ينبه القرآن الإنسان إلى أن جل ما يراه في هذا الكون من مخلوقات وظواهر مسخر لخدمة الإنسان ، وتدبير أسباب عيشه ، وتحقيق شروط رفاهيته ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك:١٥]، فبين الله تعالى أنه أخضع المظاهر الكونية المختلفة للمعرفة الإنسانية ، حيث يتمكن الإنسان من التحكم فيها وتطويرها واستغلالها على الوجه الذي يحقق مصلحته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ [الأعراف:١٠]، و استثنى القرآن طائفة من الظواهر والأنظمة الكونية، عن عموم المسخرات و المذللات ، فهي خارجة عن قدراته العضلية والفكرية ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥]

إن المنهج القرآني يقرر أن هذا الكون صديق للحياة والأحياء، مأنوس للإنسان بوجه خاص، أعده الله لاستقبال الحياة وحضانتها، إنه ليس عدواً للحياة ، ولم تكن العلاقة بين الإنسان والكون ومظاهره علاقة تحد وصراع ،

كما يعبر عن ذلك في الفلسفة الغربية (تحديات الطبيعة)، بل تشير النصوص القرآنية إلى أنه مذلل و مسخر للإنسان.

المطلب الثاني: مصادر المعرفة وأدواتها:

ومن أجل ترسيخ هذه الرؤية الكونية وتوضيح حقيقة هذه الأركان التي تشكل المعرفة، تعددت مصادر المعرفة في القرآن وتنوعت، بحيث تكون هذه المصادر خادمة للرؤية الكونية و موصلة للغاية منها في فهم حقائق الوجود فهماً صحيحاً، فكون النظام المعرفي القرآني بناء منسجماً بين مصادر المعرفة ومجالاتها في صورة متوازنة، حيث يجمع بين عالم المادة وما وراء المادة من الغيبيات، بخلاف النظام المعرفي الغربي الذي جعل من نظرية (المصدر الوحيد للمعرفة) منطلقاً وقاعدة ، فحصر المعرفة و مصادرها في الوجود المادي الذي يخضع للحس والتجربة البشرية وتجاهل ما وراء دلك من المعرفة التي لا تخضع لهده المعايير فجاء عطاؤه المعرفي فقيراً، و تتلخص مصادر المعرفة البشرية من المنظور القرآني في ثلاثة مصادر تتدرج في سلم هرمي على النحو التالي:

المصدر الأول: الوحي الإلهي:

يعتبر الوحي من وسائل المعرفة اليقينية الصادقة، فكما أن الوجود يرد إلى الله فكذلك المعرفة، تبتدئ العلوم و المعارف من الله وتنتهي إليه، فهو الذي وهب العلم للبشرية، وإذا كانت معارف البشر وعلومهم مفتقرة إلى العلم الإلهي، الذي يعد أصل العلوم والمعارف، فهي أيضاً مفتقرة إلى الوحي الإلهي، فإن الإنسان عاجز بعقله وحسه أن يفي بمتطلبات المعرفة، فهو بحاجة ماسة إلى طريق آخر للمعرفة ينسجم مع عقله وحسه و فطرته، لأن المعرفة البشرية **مفتقرة إلى أمرين:**

أ-أصل معرفي صادق معصوم يمدها بالقضايا والمعارف الصحيحة التي تعجز عنها.

ب- معيار معرفي توزن به آراء البشر وموقفهم المعرفية، ولا يفي بهذا الاحتياج إلا الوحي الإلهي المعصوم.

ويظهر الافتقار المعرفي للوحي الإلهي في المعرفة الإلهية الغيبية التفصيلية، فالوحي الإلهي وحده الذي يملك كشف تلك الحقائق ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]،

ومن جملة الغيبيات: العلم بحقيقة ذات الله وصفاته ، وحقيقة الروح، وعلم الساعة ، وتفاصيل البعث ، ويوم القيامة ، والملائكة ، والجن.....ونحو ذلك مما لا يمكن العلم به إلا بدلالة الوحي، كما يختص الوحي بمجال التشريع في العبادات والمعاملات ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام:٥٧]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]

فالبشر لا يمكنهم سن وتشريع القوانين في مجال التعبد؛ لأن العبادة حق لله، والله لايعبد إلا بما يحب ويرضى ، ما يحبه ويرضاه لا يعلم إلا من جهة الوحي، كما لا يمكنهم التشريع والتقنين لأنفسهم لأنهم عاجزون عن إدراك ما يقتضيه التشريع من الأحكام المطلقة ، كما أنه يغلب عليهم الهوى ، وقد اعترف القانونيون بهذه الحقيقة ، أن الإنسان لا يستطيع أن يكتشف قوانين حياته بنفسه، وأن الطريق الوحيد لذلك هو الوحي[1]. كما زود الوحي الإنسان بعدد هائل من الحقائق التاريخية والاجتماعية والعلمية والثقافية والاقتصادية،

[1] المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، عبد الله القرني، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط٤، ١٤٣٦هـ\٢٠١٥م، ص١٥٦-١٥٧.

من خلال الكتب السماوية، ما ساعده في رسم مفاهيم أصيلة عن الكون والخلق و الحياة ، وعن هذا المصدر المعرفي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ [المائدة:٤٤]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [النحل:٨٩]، ولبيان معاني الكتب السماوية و توضيحها وكشف المراد منها كان الأنبياء يفيضون على الناس بمزيد من المعلومات ، في مختلف نواحي الحياة ، فتشكل من ذلك مصدر متكامل من المعرفة ،ولذلك من أقصى الوحي من ميدان المعرفة وعزله عن ولايته المعرفية ، وقع في الأوهام والخرافات ، والتيه والضلال ، كما هو الحال في النظام المعرفي الغربي فإن من أسبابه قصوره المعرفي معاداته للمعارف الدينية ، حيث اتخذ موقفاً عدائياً لامع التصورات الكنسية فحسب، بل مع كل الأفكار والتصورات الدينية على الإطلاق، بل تجاوز العداء الأفكار

والتصورات إلى معاداة منهج التفكير الديني بجملته، واتجه الفكر الغربي إلى ابتداع مناهج و مذاهب للتفكير الغرض الأساسي منها معارضة منهج الفكر الديني.

المصدر الثاني: العقل البشري:

اعتبر القرآن العقل البشري مصدراً من المصادر الرئيسة والأساسية في تحصيل المعرفة عن الله الكون والحياة، فبالعقل نعلل ونبرهن، وبه نكشف الحقائق والإدراكات التصديقية، فهو من طليعة الفضائل والمواهب التي زود الله بها الإنسان، وفضله بها على الخلق، ونال به العناية الكبرى، والحظوظ البالغة من الله.

وقد مجد القرآن العقل ومنحه المكانة اللائقة كمصدر هام للمعرفة، بالاعتماد عليه في التأمل والاستدلال والنقد والتمحيص والاستبصار في تدبير وإدارة حياة الإنسان النظرية والعملية، والمطلع على الآيات القرآنية يلاحظ التركيز

على استخدام العقل وأدواته ، لإدراك واستيعاب الحقائق و صناعة المعرفة ، ومادة (العقل) في القرآن كثيرة ومتنوعة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل:١٢]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النور:٦١]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾ [الملك:١٠].

ولعب القرآن دوراً كبيراً وجوهرياً في إثارة العقل وتحفيزه في الفكر الإسلامي، حيث نجده يزدري أولئك الذين لا يعملون عقولهم، و يمدح أصحاب العقول و يثني عليهم بنعوت عطرة و كريمة [1]،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد:١٩]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [غافر:٥٤].

وتعطيل العقل في نظر القرآن يؤدي بالإنسان إلى مستوى الحيوانات بل أسوأ منها، فيوبخ القرآن ويلقي اللوم و التقريع على الجامدين المتحجرين المعطلين لعقولهم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة:١٧١]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال:٢٢].

ولا تمثل علاقة العقل بالوحي أي مشكلة في الرؤية المعرفية القرآنية، كما تستشكلها المناهج والرؤى المعرفية الأخرى، إذ العلاقة بينهما علاقة انسجام وائتلاف وتكامل، وليس ذلك فحسب، بل هي علاقة تداخل أيضاً؛ لأن المعرفة الصادرة عن الوحي مركبة تركيباً مزجياً من العقل ودلالته والنقل ودلالته، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، حيث تظهر اللحمة المعرفية بينهما، وبهذا يعلم خطأ المقابلة بين الدليل الشرعي والدليل العقلي؛ لأن الدليل العقلي

(١) نظرية المعرفة في الإسلام، جعفر عباس ، ص٢١٩.

قسم من الدليل الشرعي وليس قسيماً له.

إن الرؤية الوجودية تؤكد استحالة التعارض بين العقل والنقل، فإن المرجعية النهائية التي يرد إليها الوجود والمعرفة هي وجود الله، وكل المعارف –بما فيها العقلية– نازلة من الله إلى النفس البشرية،

فالعقل هبة من الله، والكتاب وحي من الله، وكلاهما دلائل الحق ، ودلائل الحق لا تتعارض ولا تتناقض ، ولا مجال لاستقلال العقل عن النقل لأن مصدرهما واحد، فأصل النقل الصحيح الكتاب ، وأصل العقل الصريح الميزان ، وكلاهما من مصدر واحد هو الله(١) ،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ [الشورى:١٧].

فالعقل ليس نداً للوحي في الهداية القرآنية، بل يجب أن يقف عند ما يمكنه إدراكه و يسلم بما هو فوق إدراكه، لأنه محدود بحدود الزمان و المكان، بينما يتناول الوحي حقائق مطلقة، فهو الأصل الذي يرجع إليه العقل والميزان الذي يختبر به مقرراته وتصوراته، ويصحح به اختلالاته وانحرافاته،

بينما نجد الرؤية الغربية تجعل للعقل سيادة على غيره من المصادر في المعرفة وبخاصة الوحي لأنه هو الذي ينازعه هذه السيادة، فللعقل –في المنهج الغربي للمعرفة– الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة، وما فيها من سياسة وقانون واقتصاد ودين .... وهو أداة الإنسان الوحيدة للمعرفة و الكشف عن مجاهيل الطبيعة، فإن هذه المجاهيل هي أمر مؤقت، وتراكم المعلومات التي تحصل مع تقدم الزمن كفيلة بتوسيع رقعة المعلوم وتقليص المجهول إلى أن ينتفي تماماً.(٢)

---

(١) منهج ابن تيمية المعرفي ، عبد الله الدعجاني، ص٧٢٥.

(٢) النظام المعرفي في الفكرين الغربي و الإسلامي، عبد العزيز بولشعير، منتدى معارف، بيروت ، ط١، ٢٠١٤، ص ٣٧٦.

المصدر الثالث: الحس والتجربة.[1]:

إن المتتبع للآيات القرآنية يستشف بكل وضوح وجلاء دور وأهمية المنهج الحسي التجريبي في عملية التفكير للحصول على حقائق وأفكار ومعارف عقلية موضوعية يقينية ، من خلال البحث والنظر والتفكير في مسائل وقضايا الطبيعة ، بغية استكشاف السنن والقوانين والنظريات العلمية الكونية المرتبطة بحركة الكون وتفاعلات أجزائه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ [النحل:٧٨]، فتبين من سياق الآية أن الإنسان أول ما يولد و يخرج إلى هذا العالم يخرج جاهلا ، و نفسه خالية من أي معرفة، و لا تملك إلا استعدادا للتعلم ، فيأتي دور الحواس الخمس: السمع، البصر، الشم ، اللمس، الذوق ، كأدوات تستخدم في نقل التصورات و المدركات الموجودة في الواقع إلى منبع التفكير وهو العقل.

وفي حديث القرآن عن دور الحواس الخمسة في صناعة المعرفة البشرية، نجد أن الآيات تركز تركيزاً بيناً على أهمية حاستي السمع والبصر ودورهما في تحصيل المعرفة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم ﴾ [الأحقاف:٢٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء:٣٦].

وتركيز القرآن على هاتين الحاستين باعتبارهما أنموذجين بارزين ، ولا يعني ذلك تجاهل ما يدرك ببقية الحواس.

---

[1] ينظر:نظرية المعرفة في الإسلام، جعفر عباس، ص٢١٧-٢١٢.،ونظرية المعرفة بين القرآن و الفلسفة ، عبد زهرة الفتلاوي ، دار الضياء للطباعة ، العراق، ط١، ١٤٣٤هـ\٢٠١٣م، ص٨١-٨٨.

ويلفت القرآن في منهجه العقول البشرية إلى استخدام أجهزة الحواس في النظر العميق في أجزاء الكون ومكوناته، والحقائق الإنسانية والاجتماعية، الحاضرة والتاريخية، لاكتشاف آيات الله في خلقه، ومعرفة سنن ونواميس الحياة وتفهمها ، بطريقة تمكنهم من الاستفادة منها وتسخيرها لصالح البشرية جمعاء، فيلحظ القارئ للقرآن —وبخاصة المكي منه– تأكيداً متكرراً وتوجيهاً مباشراً إلى السير والنظر، وقد بلغ مجموع هذه الآيات ما يقرب من ثلاثمائة

وستين آية تستثير في الإنسان دواعي النظر و التبصر و التأمل،

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ [الطارق:٥]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ۝٢٠ ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الروم:٠٩]، وليس المطلوب هنا مجرد النظر العابر؛ لأن المعرفة تتطلب نظراً متخصصاً ،أما مجرد رؤية الظاهرة الكونية أو الاجتماعية شيء يستطيعه كل الناس، جاهلهم وعالمهم ، أما اكتشاف قوانين الظواهر فلا يستطيعه إلا العلماء المتخصصون ، فاللغوي والنحوي والمتكلم أيضاً لا يستطيع الاستجابة إلى هذا التوجيه القرآني إلا إذا جمعوا إلى علومهم علوماً أخرى ، مثل: علم الأحياء ، و الفلك، و الجغرافيا، والتاريخ.....وغيرها من العلوم المتطورة باستمرار.

فتلخص من هذا كله أن القرآن اعتبر الحس والتجربة مصدرا للمعرفة، إلا أنه لم يبالغ في قيمته ودوره فيها، بل أعطى هذا المصدر حجمه الطبيعي ودوره الواقعي والموضوعي في نظرية المعرفة، حيث يعتبره أدنى مراتب المصادر التي تستشف منها المعارف؛ لأنها معرفة سطحية وظاهرية غير عميقة ، تهيئ لمرحلة أعلى منها ، وهي مرحلة التعقل و التدبر .

فموقف القرآن من الحس و التجربة يغاير موقف أصحاب المنهج الحسي التجريبي، حيث لا يعتبره القرآن المقياس والمصدر الوحيد، كما الحال عند أولئك ، حيث تربعت التجربة على عرش المعرفة عندهم، واعتبرت الأداة الرئيسية في تحقيق المعرفة اليقينية و الصحيحة.

المبحث الثالث: غايات المعرفة وأهدافها في النظام المعرفي القرآني.

إن النظام المعرفي الذي جاء به القرآن يتناول الأبعاد الرئيسية لأي نظام معرفي وهي:

-تحديد مصادر المعرفة.

-تحديد الغاية والهدف من المعرفة: لأن أي نظرية في المعرفة تقوم على شقين: الأول، إنتاج المعرفة، والثاني: توظيف هذه المعرفة، وعملية توظيف المعارف تحتاج إلى فهم مقاصد الحياة وغاياتها.

وإن الإنسان بطبيعته غير قادر على إدراك الغايات من الخلق، والأهداف الكبرى للحياة، فمعرفة هذه الغايات قضايا إخبارية تتلقى من الوحي، فالعلم البشري مهما بلغت قوته لن يقود الإنسان إلى معرفتها، فهي من فعل الله يعرفنا بها ويحدد لنا معالمها، ومن هنا نلحظ أن الأزمة الحاصلة في واقع المجتمعات الغربية وفي منظومتها المعرفية، راجعة إلى افتقاد الرؤية الصحيحة التي توجه الإنسان ، ترسم له البداية و تحدد له النهاية و تربطه بالغاية، حيث قام هذا النظام على فكرة غائية مادية ، وهي أن العلم و المعرفة وسيلة للسيطرة على الطبيعة، ولكنه وصل إلى نتيجة معاكسة ، فأصبحت الطبيعة و المادة

هي المسيطرة على الإنسان. بينما تهدف المعرفة في الإسلام إلى تحقيق غاية كبرى وهي (بناء النفس الإنسانية) والوصول بها إلى منتهى الكمالات النفسية، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، ومن السخافات والسفالات إلى قمة الإنسانية السامية القائمة على الرسالة السماوية والهداية الربانية[1]،

ويسير المنهج القرآني في تحقيق هذه الغاية وفق خطة تربوية دقيقة تسعى إلى تحويل المعرفة إلى ثقافة وسلوك مرتبط بالواقع، وله أثر في حياة الفرد والمجتمع، وذلك من خلال تحديد الغايات وتوجيه المعرفة البشرية إليها، وهي:

المطلب الأول: معرفة الله وتحقيق العبودية له:

إن المنهج القرآني يوضح بأن الإنسان لم يخلق لهواً وعبثاً ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥]،

وإنما خلقه وأهله بالمعرفة للقيا وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الداريات:٥٦]، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا بمعرفة الخالق سبحانه.

وعليه فإن المعرفة البشرية لابد أن تصل إلى الحقيقة العظمى والمثل الأعلى الذي يبحث عنه الإنسان ويتحرك نحوه، و هو معرفة الله سبحانه وتعالى لأنها منتهى المعرفة وغايتها وكمالها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم:٤٢]، فهو –سبحانه– غاية ومنتهى كل مطلوب ، وبناء على هذا لابد أن يستثمر الإنسان كل الطاقات الفكرية والعقلية في تحقيق هذه المعرفة التي تعد محوراً و قطباً رئيسياً تدور حوله جميع المعارف والحقائق في حياة الفرد والمجتمع.[2]

ومن ثم كانعليه،يد محور العملية المعرفية في المنهج القرآني ، فهو أساس المعرفة وغايتها ، في ضوئه تبنى كل العلوم و الفنون والإنجازات والممارسات والأفعال ،

(١)منهج القرآن الكريم في البناء المعرفي، مصطفى حوامدة ، ص١١٥٤.
(٢) نظرية المعرفة في الإسلام، جعفر عباس، ص٤١.

وهو المرشد والموجه والضابط لكل حركات الفعل الإنساني ، ولذلك نجد أبعاده في الحضارة الإسلامية من أدنى مستوياتها إلى أرقى أشكالها[1]،إنه لا قيمة لأي معرفة إنسانية لا ترشد الإنسان وتعرفه بخالقه وما يجب له عليه ، فهذا النوع من المعرفة يعتبره القرآن معرفة سطحية لا ترفع الجهل عن صاحبها ، بل كلما ازداد غوصاً وعمقاً فيها ، ازداد تيها وحيرة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم:٠٧]، كما نجده في نماذج المعرفة الغربية التي تنهل من معين المادية الوضعية ، فحصل للإنسان ما حصل من حالات التمزق والتيه ، نتيجة الفصل بين الخالق والمخلوق ، والفصل بين المعرفة و الدين.

فالوظيفة الأساسية للمعرفة في المنهج القرآني هي تعريف العبد بربه، وتحقيق العبودية له بالذل والانكسار والخضوع والرغبة والرهبة والمحبة،

فالمعرفة طريق للخضوع للرب وليست قوة نضارعه بها ، والعلاقة بينهما علاقة طردية ، فكلما ازدادت المعرفة بالله وكانت أكمل ، كلما كانت العبودية له أتم ، وكلما كانت المعرفة بالله ضعيفة، اعترى العبودية ما يعتريها من الضعف والهوان ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج:٥٤].

إن المعرفة الصحيحة التي تقود الإنسان إلى العبودية لله ، هي المعرفة التي تحرره من كل أشكال العبودية لغير الله من عبادة الأصنام ، وعبادة البشر، وعبادة الشهوات واللذات، فالقاعدة الأساسية للحرية في الإسلام هي العبودية لله وحده القائمة على المعرفة الصحيحة بذاته ، وإن التحرر من كل العبوديات لا

(١) النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي و الغربي، عبد العزيز بولشعير، ص١٧٨.

يتحقق إلا بهذه المعرفة ، فإن العبودية للأصنام واستعباد البشر واستغلالهم على مر التاريخ لم يكن إلا من طريق تجهيل الأمم و حرمانها من المعرفة الصحيحة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ ﴾ [فصلت:٢٧]، ولذلك فإن اللحظة التي يصل فيها الإنسان إلى المعرفة الصحيحة هي اللحظة التي يتحرر فيها ، وكلما اتسعت دائرة معرفته بالله ، اتسعت دائرة حريته، وهذا ما يختلف فيه النظام المعرفي القرآني عن النظم المعرفية المادة التي تعتبر أن حرية الإنسان تتحقق بسيطرته على نفسه وعلى الطبيعة والكون.

المطلب الثاني: تزكية النفوس و تهذيبها:

إن النظام المعرفي القرآني يؤكد على التلازم بين المعرفة والأخلاق، ويعتبر تزكية النفس وتنميتها بالفضائل والأخلاق الحسنة أسمى غايات المعرفة، بل المهمة الأساسية التي بعث لأجلها الرسل،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤ ﴾ [آل عمران:١٦٤]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ ﴾ [الجمعة:٠٢]، و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [النساء:٢٦].

فالمعرفة الصحيحة تزكي النفس البشرية وتهذبها، وتخلصها من عكر الآفات الأخلاقية، وسموم الكبر والأنانية، والشوائب كلها، وتهيء الإنسان للنهوض بالواجب المقدس الذي كلف به، والوصول به إلى نموذج الحياة المعنوية والمادية التي يراد للإنسان المسلم أن يحياها ، والارتقاء به في سلم الكمال إلى المعاني

الحقيقية للإنسانية، فالمعرفة الصحيحة هي الروح التي تحيا بها النفس ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

والنفس بالمقابل هي حصن المعرفة الأصيل، ووعاؤها الكبير، يجب تخليصها من ربقة الشهوات، وعبودية الرغبات ، ومن كل الأمراض النفسية ، لتتهيأ لتلقي المعرفة الصحيحة ، فإن هذه الأمراض : من كبر ، وحسد، وطمع ، وحقد ، وذنوب ، وأهواء....حواجز سميكة وحجب كثيفة تظلم النفس وتمنع عنها المعرفة والحكمة أو تفسدها ، وإن تزكية النفس وتطهيرها وترويضها يجعلها مستعدة لاستقبال المعرفة بشكل سليم، فإن النفس تتلقى المعارف بجميع الطرق (وحي، حس، عقل...) ثم تختمر هذه المعارف في مرحلتي التصور

والتصديق، ومن ثم تبرز في شكل سلوك، فإذا كانت التصورات صحيحة، كانت التصديقات صحيحة ، وإذا فسد التصور فسد معه السلوك ؛ لأن النفس هي السلطان على البدن، تمده بالطاقة و تحرك جميع الوظائف

والأجهزة، ولذلك نجد في القرآن ارتباطاً بين المعرفة والعلم والعمل، فحيثما ذكر العلم ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية لهذه المعرفة قَالَ تَعَالَى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧ ﴾ [آل عمران:٥٧]،وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [النساء:١٢٢]. إن مسألة تلازم المعرفة و الأخلاق تشكل علاقة فارقة بين النسقين المعرفيين الإسلامي والغربي، فهذا الأخير يختصر الإنسان ضمن محدودية الغرائز والشهوات المادية، فيعنى بالجانب الحيواني في الإنسان فقط حيث إن القيمة الأساسية للنموذج المعرفي الغربي هي تحويل المعرفة إلى التنمية

التي تعني الإنتاج الاقتصادي والاستهلاك وإشباع الحاجات المادية فقط ،
أما الاهتمام بحياة الإنسان وروحه وصلاح نفسه فلا يكاد يوجد حيث حصل فيه فصام بين المعرفة و الأخلاق ، وأصبح الإنسان أداة للإفساد في الأرض ، وإهلاك الحرث و النسل ، ابتغاء شهواته و مصالحه الشخصية ، ففي الوقت الذي حقق فيه الناظم المعرفي الغربي إنجازات جبارة في الجانب المادي ، إلا أنه بقي عاجزا أمام حاجات النفس وسؤالات الذات، بل إنه ألحق ضرراً كبيراً بإنسانيتنا ، و تفنن في تغريبنا عن ذواتنا[1] ،
فإن الإنسانية حين ضلت عن هذه الغايات الأخلاقية للمعرفة انتهى الأمر بها إلى أن اغترب الإنسان عن نفسه ، وعن بني جنسه ، وعن الدين ، وعن الطبيعة ،
فأصبح الإنسان يعيش غربة كونية، وحياة زائفة، علاقة الأفراد بعضهم ببعض سطحية ، استغلال ولا إنسانية .....إلى غير ذلك من مظاهر الفساد والتفسخ الاجتماعي الذي استشرى في عالمنا بصورة أصبحت تهدد وجود الإنسان وصحته النفسية.[2]

المطلب الثالث: عمران الأرض وإقامة شرع الله فيها:

إن القرآن يحمل الناس جميعاً مسؤولية بناء الحضارة، و يدل الإنسان صانع الحضارة على أن وجوده فيه حكمة، حيث استخلفه الله في الأرض ليكون أداة إصلاح وأداة عمل ، فالوظيفة التي يحملها القرآن للإنسان هي عمارة الأرض وإصلاحها ، بإقامة مجتمع إنساني سليم ، يقيم فيه حكم الله
وشريعته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]،

---

[1] ثلاث رسائل في الإلحاد و العلم و الإيمان، عبد الله الشهري، مركز نماء للبحوث و الدراسات، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص٦٤.
[2] النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي و الغربي ، عبد العزيز بولشعير ، ص٣٦٦.

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فهذه الآيات–وغيرها– تنطوي على تعريف صريح بالمهمة الأساسية التي كلف بها الإنسان في حياته الدنيوية، وهي النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي عمارة كلية بكل ما تتسع له هذه الكلمة من المعاني المادية والعلمية الاقتصادية. ولم يعد خافيا على أحد حاجة البشرية إلى قيادة حضارية تحفظها من تغول الحضارة المادية النفعية وجشعها، وتحقق لها الأمن، وترتقي بها إلى منزلة التكريم الإلهي، ولا يحقق ذلك إلا الإسلام فحضارته قائمة على منظومة من الحقائق والمعارف الإنسانية والكونية والحياتية، التي تحدد للإنسان مركزه وغايته ومهمته في الأرض ، وتصلح ما فسد من شؤون الحياة ؛ لذلك فالأمة الإسلامية أمام مسؤوليتها الحضارية في تقديم منهج معرفي شمولي يحقق الرقي والسعادة للبشرية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠] .

إن النظام المعرفي الإسلامي يهدف إلى بناء حضارة إنسانية شاملة، حضارة الإنسان المتزن، التي تعمر الأرض وتحقق السعادة لجميع البشر، و إنقاذ الإنسانية من مصير يلوح في أفقه الهلاك، والفساد، و الخسران، وبناء الأمة الوسط المحققة للخير، الراشدة الساعية لسعادة الدارين ، وذلك من خلال إعادة تنظيم المعرفة وفروعها وعلومها، فسلامة البنية المعرفية من أي نقص أو انحراف ، لابد أن تنعكس إيجاباً على البنية الثقافية و الحضارية لأي مجتمع ، كما تنعكس إيجابا على لون مدنيته.(١) .

(١) منهج القرآن في البناء المعرفي، مصطفى حوامدة ، ١١٦٠.

المبحث الرابع: خصائص النظام المعرفي في القرآن.

إن القرآن الكريم حين نزل أنشأ نظاماً معرفياً لم تعهده العرب من قبل، حيث أحدث انقلاباً في مفاتيح المعرفة، ومصادرها، وغاياتها، وتميز بخصائص جعلته النظام المعرفي المؤهل -في كل زمان ومكان -لتصحيح مسار البشرية، وانتشالها من أزمتها الحضارية،

وتتلخص هذه الخصائص والميزات فيما يلي:

المطلب الأول: خاصية الربانية:

إن أهم ما تميز به هذا النظام المعرفي عن بقية النظم و التصورات الفلسفية، أنه نظام رباني بكل خصائصه ومقوماته، مصدره خالق الكون سبحانه، الذي يعلم طبيعة الإنسان وحاجاته المعرفية على مدى الزمان ، قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٤]، وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران:٦٦]، فجعل في هذا النظام من الخصائص ما يلبي كل الحاجيات المعرفية للإنسان مهما تطورت حياته و تغيرت ظروفه.

بخلاف النظم المعرفية الوضعية التي صنعها البشر في معزل عن الهدي الإلهي، حيث جاءت قاصرة نتيجة قصور الإنسان وجهله، ومضطربة غير ثابتة نتيجة خضوعها لشهوات الإنسان و تأثراته، ومن ثم كانت دائماً في حاجة إلى التطور في أصولها ، والتحور في قواعدها ، والانقلاب عليها حين تضيق بحاجات البشرية المعرفية، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢]

إن ربانية المصدر لهذا النظام المعرفي أكسبته أموراً كثيرة منها:

أ-الثقة فيما ينتجه من المعارف: لأنه مبرأ من كل نقص وعيب، محكم لا يعتريه الخلل من أي جهة، ومن البديهي أن النظام المعرفي المحكم لن ينتج إلا

معرفة صحيحة محكمة في أرقى درجة تجعلها صالحة لأن ترسم مناهج الحياة للبشرية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٠٩]

بينما نجد أصحاب المناهج الوضعية لا يكادون يستريحون إلى شيء من معارفهم ونظرياتهم التي وصلوا إليها، وكل نظرية لاحقة تهدم نظرية سابقة، وظهور المذاهب الفلسفية الكثيرة و تعددها من : مثالية ، و مادية ، ووضعية ، ووجودية ، وجدلية ، وماركسية ، وليبرالية.....ليست إلا ثمرة هذا الاضطراب.

ب-**الثبات**: لأنه يأتي من مصدر ثابت العلم والإرادة، مصدر يرى بلا حدود، ويعلم بلا عوائق، ولايقدر اليوم تقديراً يظهر في غد خطؤه ونقصه، ويختار بلا شهوات و انفعالات تؤثر في موازينه وتقديراته، فوضع للمعرفة في جميع أزمانها و أطوارها أصلاً ثابتاً تتطور وترتقي وتنمو في حدوده تمثل في (الرؤية الوجودية) القائمة على (رؤية توحيدية) ،

فكان هذا المحور هو الميزان الثابت الذي يرجع إليه الإنسان في كل ما يعرض له من أفكار وتصورات ليرى قربها أو بعدها من الحق والصواب، فيظل دائماً في الدائرة المأمونة، التي تقيه شر التيه والفساد، وتضمن له مبادئ ثابتة يتحاكم إليها. بينما نجد النظم المعرفية الوضعية قائمة على مبدأ التطور المطلق الذي نشأ عنه فساد عظيم.

ج-**الكمال**: لما كان هذا النظام صنعة إلهية ووضعاً ربانياً ، فهو كامل لا يقبل (قطع غيار) مستعارة من مناهج فكرية بشرية؛ لأنها لن تناسق معه ،فلا يملك الإنسان أن يعدله أو أن يضيف إليه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل:٨٨].

إن خاصية الربانية منحت هذا النظام شخصيته المستقلة، وطبيعته الخاصة، التي لا تلتبس بنظام معرفي آخر، ولا تستمد منه.

المطلب الثاني: خاصية الشمول والتكامل:

إن الإنسان بحكم طبيعته المحكوم عليها بالضعف و الجهل و القصور حينما ينشئ نظاماً معرفياً، يجيئ تفكيره محكوماً بهذه السمة، فيكون تفكيره جزئياً ، لا يتناول المعرفة من جميع زواياها و أطرافها ، فالفكر البشري المبني على منهج بشري لا يتمثل فيه الشمول أبداٍ ، لأنه تفكير جزئي ، ومن جزئيته يأتي النقص و الاضطراب.

أما النظام المعرفي القرآني فقد جاء نظاماً شاملاً متكاملاً في كل الجوانب، واستمد هذه الخاصية من شمولية القرآن فهو الكتاب الشامل الجامع الخاتم، وخاتميته تستلزم أنه لا كتاب سماوي بعده لإرشاد وهداية البشرية، مما يستلزم شمولية وتكامل نظامه المعرفي، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل:٨٩].

وتظهر خاصية الشمول والتكامل في أمور كثيرة منها:

أ-الشمول و التكامل بين مجالات المعرفة: فالنظام المعرفي القرآني يجمع بين مجالين معرفيين هما: عالم الغيب ، وعالم الشهادة ، بخلاف النظام المعرفي الغربي الذي حصر المعرفة في مجال واحد هو عالم الشهادة، وعرض عن المعرفة المتعلقة بالغيب ، ولما كان محور المعرفة هو المادة فقط جاءت معارفه قاصرة وناقصة كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [الروم:٠٧]، وتخبطت الفلسفات المعاصرة كسابقتها كثيرا وهي تحاول جمع شتات المعرفة دون الاعتماد على رؤية شمولية ، فجاءت أبحاثها غير مستقرة وثابتة مما دل على عجزها و قصورها.[1] إن حصول التكامل والتوازن بين المعارف من الأمور المهمة في البناء المعرفي للإنسان ، وفقدانه يؤدي إلى اضطرابات

[1] منهج القرآن في البناء المعرفي، مصطفى حوامدة، ص١١٥٦.

في العملية الفكرية حيث تتشوه الحقائق ولا تدرك بالصورة الموضوعية، ويتحقق هذا التكامل والتوازن بالتناسق بين الجانب المادي والجانب الروحي والجانب العقلي والنفسي، فتتكامل العلوم العقلية مع العلوم الروحية، والعلوم الطبيعية مع العلوم الشرعية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية التجريبية؛ لأن لكل علم منها دوراً في بناء جانب من شخصية الإنسان[1]،

وقد حقق النظام المعرفي القرآني هذا التوازن والتكامل فجاءت العلوم الإسلامية على ثرائها و تنوعها متآلفة، سواء منها ما كان ناشئاً بالخصوصية الإسلامية ، أو مقتبساً من التراث الإنساني ، ويستوي في ذلك ما كانت طبيعته سمعية ، وما كان حسيا أو عقليا [2]، وما حصل هذا التكامل بين معارف الوحي والمعرفة الإنسانية إلا أنه نظام قام على قاعدة الجمع بين القراءتين، قراءة الوحي وقراءة الكون انطلاقاً من قوله تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق:١٠]، فكانت النتيجة تكامل بين الوحي والكون، والنص والعقل، والعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية والعلوم الشرعية.

ب–الشمول و التكامل في مصادر المعرفة: إن للمعرفة في النظام المعرفي القرآني مصدران متكاملان متآزران هما: الوحي، الكون (الخلق) ، ووسائل اكتساب المعرفة من هذين المصدرين هما: الحس والعقل معاً، وبين هذه المصادر والأدوات المعرفية تداخل وتفاعل وتمازج أفقي وعمودي، فالحواس تستخدم لاستكشاف المعارف والمدركات التصورية الساذجة، والعقل يستخدم الترتيب والتصنيف والتحليل، من أجل الاستدلال واستنباط الأحكام،

---

(١) نظرية المعرفة في الإسلام ، جعفر عباس، ص ٤٤٧.

(٢) النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي و الغربي، عبد العزيز بولشعير، ص٢٧٩–٢٨٢.بتصرف

والوحي هو المنبع الأصيل والرئيس للمعرفة، وهكذا تتكامل هذه المصادر وتتناسق في إمداد الإنسان بالمعرفة دون شطط أو اضطراب، ولا تصادم ولا تعارض، ومن غير تأليه أو تحقير، وفي غير خصومات بينها كما هو في النموذج المعرفي الغربي، حيث وضعها النظام المعرفي الإسلامي في سياق تراتبي ، فاعتبر الوحي المصدر الصادق؛ لأنه لا يخضع للهوى ، ولا يتأثر به فهو أعلى المصادر، ولكنه في الوقت ذاته لم يلغ العقل والحس والتجربة، لأنه يتعامل مع المصادر كمنظومة كلية تتكون من منظومات فرعية لكل منظومة خصائصها و مجالاتها المعرفية.(١)

ج-**تجاوز الثنائيات**: حيث استطاع النظام المعرفي الإسلامي إحداث التوافق و الانسجام بين: الإنسان و الطبيعة، والإنسان والله ، والجمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة والمادي واللامادي المحسوس واللامحسوس، المرئي واللامرئي، والتأليف بين: العقل والنقل، والتجربة والوحي ، وبين علوم الخبر وعلوم المختبر ، والملاءمة بين: الروح و المادة ، والعلوم العقلية والعلوم الروحية ، والعلوم الطبيعية و العلوم الشرعية ، والعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية...الخ.

إن هذه الثنائيات المختلفة المتخاصمة في الفكر الغربي هي التي شطرت المعرفة إلى شطرين: لاهوتية ميتافيزيقية، ووضعية مادية (٢)، وأحدثت القطيعة بين الفكر الإنساني والفكر الديني، والقطيعة بين نظام المعرفة ونظام الاعتقاد، والقطيعة بين المعرفة ومنظومة القيم.

---

(١) ينظر: النظام المعرفي في القرآن، محمود الرشدان، ص٤٠.،نظرية المعرفة في الإسلام ، جعفر عباس، ص٢٣.،ومنهج القرآن الكريم في البناء المعرفي، مصطفى حوامدة ، ص١١٥٨.

(٢) النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، عبد العزيز بولشعير، ص٢٦٤.

المطلب الثالث: خاصية القيمية:

إن كل نظام معرفي لابد أن يستند في أساسه إلى منظومة من القيم التي تضمن له صوابه واستمراريته، حيث تمثل هذه المنظومة أحكاماً معيارية تكون مستقاة من مصادر معترف بها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١]. فهناك تلازم بين المعرفة والقيم، فإن المعرفة من دون قيم كالسفينة من دون ربان،

فالقيم هي البوصلة والربان الذي يجري هذه المعرفة ويرسيها عن قصد معلوم وإلى هدف معلوم، وإن انفصال المعرفة عن القيم يشكل خطورة على الحياة البشرية، فالقيم تضع حدودا لما ينبغي أن يلتزمه النظام المعرفي،

ومن هنا كانت الأزمة الحاصلة في واقع المجتمعات الغربية وفي منظومتها المعرفية ،أزمة قيم؛ لأنها تفتقد للرؤية التي تمد الإنسان بالقيم مصدراً ومضموناً وممارسة ، وترسم له البداية ، وتحدد له النهاية ، وتربطه بالغاية.[١]

بينما نجد أن طبيعة النظام المعرفي الإسلامي قيمية في الأساس، فهو قيمي المنطلق والمسار والغاية، غايته حماية الإنسان من الهلاك والضياع، وحماية للطبيعة والكون من الاستغلال و الفساد [٢].

فالمعرفة الإسلامية تحكمها قيم روحية مستوحاة من روح الوحي ، وهي الضابطة لأفعال و ممارسات البشر، كأفراد أو كمؤسسات أو كدول ، ومن شأنها أن تنظم العلاقات البينية الداخلية للمجتمع ، والعلاقات الدولية، بينما نجد أن النظام المعرفي الغربي عندما فقد هذه الرؤية حصل فيه انفصام بين

---

[١] المصدر نفسه، ص٢٠٥-٢١١.

[٢] المصدر نفسه، ص ١٤٠.

والمعرفة والقيم فوقعت الحضارة التي أنتجها هذا النظام المعرفي في الزيغ الانحراف، والتجرد من الإنسانية، حيث يعتبر هذا النظام القيم مجرد أساطير ابتدعها البشر بسبب فائدتها ، ولا يوجد في داخلها حقيقة، فجعل هذا النظام العلوم مرجعية ذاتها ، غير مؤمنة بمرجعية أخرى خارج مرجعية الإنسان والطبيعة والمادة،

فأصبح للاقتصاد محددات اقتصادية، وللسياسة محددات سياسية .... وهكذا، بأن يفصل كل شيء عن القيمة، فانتهى الأمر بأن اغترب الإنسان عن نفسه، وعن بني جنسه، وعن الدين، وعن الطبيعة؛ لأنه انفصل عن الله، وعن الطبيعة، وعن المجتمع ، وحتى عن نفسه ، فأصبح عاجزاً عن تحقيق ذاته ووجوده على نحو شرعي أصيل،

فقد قام هذا النظام بالقضاء على كل معيار عامل وشامل ولم يبق إلا معيار الإنسان مقياساً لكل شيء، وأصبح اغترابه قيمة في حد ذاته![1].

ولذلك فشلت كل النظم المبنية على هذه المعرفة، ففشلت الماركسية في عقر دارها، وفشل نموذج الحداثة، فظهرت ما بعد الحداثة، وما بعد السلوكية، وما بعد الوضعية، وما بعد الليبرالية ...،

وكل ذلك يعبر عن أزمة في الفكر الغربي الذي يحاول الهروب إلى الأمام عندما لاحظ قوة الفشل و الإفلاس.

إن الحضارة الغربية متصدعة، مقبلة على انهيار تام لا لضعف في قوتها، ولكن لفساد أساسها المعرفي، وإن وصفها بالتطور والازدهار لا يصدق إلا من حيث الطلاء الخارجي،

(١) النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي، عبد العزيز بولشعير، ص٣٦٦.

وأما من خبرها من داخلها فسيقف على واقع أليم لمشاهد تبعث على الأسى، ويكفي في ذلك ما يكتبه علماء الاجتماع والنفس الأوربيون عن الخطر الذي يتهدد هذه المجتمعات نتيجة غياب القيم في كل مستوياتها: الدينية، والمعرفية، والأخلاقية ، والاجتماعية والأسرية،

والسياسية..... إن إمكانية تجاوز أزمة الحضارة العالمية تكمن في إعادة ربط المعرفة بالقيم، كما هو واضح في المنهج القرآني، إذ المعرفة من دون قيم اعتداء على الحياة.[1]

(١) النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي و الغربي، عبد العزيز بولشعير، ص٣٦٣.

خاتمة:

وتضمنت نتائج البحث التالية:

١-إن القرآن الكريم أنشأ نظاماً معرفياً لم يعهده العرب من قبل، حيث أحدث هذا النظام انقلاباً معرفياً في مفاتيح المعرفة ومصادرها وغاياتها.

٢-النظام المعرفي القرآني يمثل تجسيداً وانعكاساً للرؤية الكلية للوجود والكون، هذه الرؤية الكونية تعتبر الأساس لأي نظرية معرفية، حيث تكون فلسفة المعرفة استمرارا لفلسفة الوجود.

٣-التوحيد جوهر النظام المعرفي القرآني، حيث ينتظم في إطاره التعامل مع مصادر المعرفة، وبواعثها، وغاياتها.

٤-إن النظام المعرفي القرآني منسجم البناء، متوافق العناصر، شامل للوحي والإنسان والكون، قيمي المنطلق والمسار والغاية، يشكل في النهاية نسقاً معرفياً، مكوناً من عناصر تتكامل فيها بينها، تعطي للإنسان المسلم هوية متميزة وجودياً، ومعرفياً ، و حضارياً.

٥-يختلف النظام المعرفي القرآني عن الأنظمة المعرفية الوضعية منطلقاً ومنهجاً ومساراً وغاية، حيث تتداخل معه منظومة الاعتقاد التي تعتبر الأساس، ومنظومة القيم التي توجه الغايات والأهداف.

٦-استطاع النظام المعرفي القرآني تجاوز كل الثنائيات المتخاصمة في الأنساق المعرفية الأخرى (نحو: جدلية الإنسان والطبيعة، العقل والنقل....) بفضل التكامل الذي أحدثه بين مجالات المعرفة ومصادرها وأدواتها.

٧-إن النظام المعرفي القرآني توجهه قيم روحية مستوحاة من روح هذا الدين، يهدف من خلالها إلى بناء حضارة إنسانية شاملة، حضارة الإنسان المتزن ،

التي تعمر الأرض ، وتحقق السعادة لجميع البشر، وتنقذ البشرية من أسباب الهلاك و الفساد و الخسران.

٨- يعتبر النموذج القرآني في بناء المعرفة الإنسانية البديل الذي يمكنه تقديمه للبشرية اليوم؛ لأنه يتوافر على عناصر لبناء حضارة إنسانية أخلاقية يفتقدها النموذج الغربي الذي يراد عولمته.

٩- إن النظام المعرفي الغربي يمر بأزمة منهجية ومعرفية بلغت به إلى حد الإفلاس، ويعزى ذلك إلى البنية المفاهيمية المختلة لهذا النظام، الذي تخلى عن المعرفة الدينية التي تعتبر الحقيقة المهيمنة على الحقائق الأخرى، فالتخلي عنها يسبب العجز والقصور في التصور، ويوقع في التيه والضياع، ثم انعكس ذلك على كل النظم السياسية والاجتماعية التي قامت على هذا النظام المعرفي.

١٠- الأمة الإسلامية اليوم أمام مسؤولية حضارية عظيمة في تقديم منهج معرفي شمولي للبشرية ، ووظيفة الباحثين المسلمين اليوم هو إبراز دور القرآن الكريم في صناعة المعرفة التي تنقذ البشرية و تعمر الوجود.

قائمة المصادر والمراجع:

١-أثر التأصيل المنهجي في البناء المعرفي الإسلامي، حسن حميد، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية ، جامعة الجلفة، العدد:٠٦، سبتمبر ٢٠١٩.

٢-ثلاث رسائل في الإلحاد و العلم و الإيمان، عبد الله الشهري، مركز نماء للبحوث و الدراسات ، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

٣-ثنائية المصدرية و الغائية للواقع في نظرية المعرفة ، مختار محمود عطا الله ، مجلة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، المجلد:٣٩، العدد:١٣٨، فبراير ٢٠٢٢.

٤-حول النظام المعرفي في القرآن ، محمود عابد الرشدان ، مجلة إسلامية المعرفة ، الأردن ، المجلد: ٠٣ ، العدد ١٠، سبتمبر ١٩٩٧.

٥-روح الحضارة الإسلامية ، الفاضل بن عاشور ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض، ١٩٩٢.

٦-فقه بناء الإنسان في القرآن، كفاح أبو هنود، مكتبة عصير الكتب، مصر، ط١، سبتمبر، ٢٠٢٠.

٧-المعرفة في الإسلام مصادرها و مجالاتها ، عبد الله القرني ، مركز التأصيل للدراسات و البحوث، السعودية ، ط٤، ١٤٣٦هـ\٢٠١٥م.

٨-منهج ابن تيمية في المعرفة، عبد الله بن نافع الدعجاني ، مركز تكوين للدراسات و الأبحاث، السعودية ، ط١، ٢٠١٤.

٩-النظام المعرفي في الفكرين الغربي و الإسلامي، عبد العزيز بولشعير، منتدى معارف، بيروت ، ط١،٢٠١٤.

١٠-نظرية المعرفة في الإسلام، جعفر عباس ، مكتبة الألفين ، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١١-نظرية المعرفة في الإسلام و تطبيقاتها التربوية، سمير السلمي، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، مجلد:٨٤،عدد:٤، أكتوبر٢٠٢١.

١٢-نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، عبد زهرة الفتلاوي ، دار الضياء للطباعة ، العراق، ط١، ١٤٣٤هـ\٢٠١٣م.